Jurnal Studi Hadis Nusantara
Vol. 3 No. 1, Juni 2021 eISSN: 2721-219X

النقد الحديثيّ بين تنزيه النقل وإعمال العقل– الشيخان نموذجا
دراسة في ضوابط المنهجية النقدية للحديث النبويّ

Safaa Mostafa Ali Abo Elela
Sultan Abdul Halim Moazam Shah
International Islamic University, Malaysia
safaamostafa652@gmail.com

الملخص

يحاول البحث أن يقف عند الحدود الفاصلة لمهمة النقد الحديثي، وذلك ببيان أهم الصفات التي يجب توافرها في الناقد الحديثي من خلال ما أقره علماء الحديث مثل حفظ السنة، والفهم الصحيح لها، وغير ذلك من الصفات التي سيتناولها البحث، حيث إن النقد الحديثي لا يستطيعه أي أحد لتعلقه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يحتاج إلى نوعية خاصة من المشتغلين بالعلم، لذا؛ وضع العلماء القواعد والمناهج التي تبين ذلك، وترشد إلى فهم صحيح للسنة يرتكز على أساس من فهم القرآن والسنة الصحيحة.ولهذا، جاء البحث ليناقش صفات الناقد الحديثي ويبحث من الناحية التاريخية والتطبيقية مناهج النقد الحديثي منذ العهد النبوي وحتى عصر التابعين، مع الوقوف عند نموذج فريد تتوافر فيه كمال الصفات وصحة المنهج وهما الإمامان البخاري ومسلم.

الكلمات المفتاحية: النقد، الحديثي، مناهج، السنة النبوية، الناقد.

Abstract

The research tries to stop at the boundaries of the task of hadith criticism, by showing the most important qualities that must be present in the hadith critic through what was approved by hadith scholars such as memorizing the Sunnah, correct understanding of it, and other qualities that the research will deal with, as the hadith criticism cannot do any Uhud for his attachment to the hadith of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, as he needs a special quality from those who work with science, so; The scholars set the rules and approaches that clarify this, and guide a correct understanding of the Sunnah based on an understanding of the Qur'an and the correct Sunnah. Therefore, the research came to discuss the characteristics of the hadith critic and to examine historically and practically the methods of modern criticism from the Prophet's era

until the era of the followers, while standing at a unique model It has the perfection of qualities and the correctness of the approach, namely the two Imam Bukhari and Muslim.

Keyword : *criticism, hadiths, methods, Sunnah, critic.*

وتحليل الحرام تقليدا منه لمن يخطئ ويصيب؟ «.[1]

ولهذا، جاء البحث ليضع تصورا تاريخيا ومنهجيا لضوابط نقد الحديث النبوي من النشأة حتى التطور.

أهمية البحث:

تظهر أهمية الدراسة من خلال موضوع البحث الذي يتناول النقد الحديثي ليقف بالقارئ والباحث على خطورة المناهج التي تضر بالسنة النبوية أكثر مما تفيد، ويحذر البحث الأمة من مغبة الانسياق زراء تلك المناهج، فيقدم خطوات عملية وتطبيقية تتسم بالمنهجية العلمية الصحيحة التي تساعد الأمة على التمييز بين الطيب والخبيث من تلك المناهج التي تسللت إلى السنة النبوية.

أهداف البحث:

1– بيان مفهوم ومصطلح النقد والناقد لغة واصطلاحا.

2– بيان الصفات التي يجب أن يتحلى بها الناقد الحديثي.

3– تقديم عرض تاريخي لنشاة النقد الحديثي.

4– بيان الأسباب والدوافع التي دعت إلى نشأة النقد الحديثي منذ العهد النبوي حتى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل القرآن على نبيه وآتاه السنة ليبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون. اللهم صل وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

فإن نقد الحديث النبوي سندا أو متنا أمر لا يتأتَّى لكل أحد،فهذا أمر يحتاج إلى قدرات وإمكانات خاصة، قال بها المتأخرون والمتقدمون **معا**، وإن تفاوتت بينهم هذه الشروط،لكنهم اتفقوا على أن نقد الحديث لا يقوم به أي أحد،ولعل ابن حبان كان واضحا حينما تكلم عن هذه الشروط وتلك الصفات قائلا:»فمن لم يحفظ سنن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحسن تمييز صحيحها من سقيمها.ولا عرف الثقات من المحدثين ولا الضعفاء من المتروكين، ومن يجب قبول انفراد خبره ممن لا يجب قبول زيادة الألفاظ في روايته،ولم يحسن معاني الأخبار،والجمع بين تضادها في الظواهر،ولا عرف المفسر من المجمل،ولا المختص من المقتضى(المفصل)،ولا الناسخ من المنسوخ،ولا اللفظ الخاص الذي يراد به العام،ولا اللفظ العام الذي يراد به الخاص،ولا الأمر الذي هو فريضة وإيجاب،ولا الأمر الذي هو فضيلة وإرشاد،ولا النهي الذي هو حتم لا يجوز ارتكابه من النهي الذي هو ندب مباح استعماله مع سائر فصول السنن وأنواع أسباب الأخبار على حسب ما ذكرناها في كتاب فصول السنن.كيف يستحل أن يفتي؟!أم كيف يسوغ لنفسه تحريم الحلال

1 - ابن حبان،محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي،**كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**،تحقيق محمود إبراهيم زايد،دار المعرفة،بيروت،لبنان، ٢١٤١هـ/٢٩٩١م.٣١/١.

٧١٤١هـ.

4– اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا–تأليف الدكتور محمد لقمان الصديقي، ط٨٠٤١هـ، ٧٨٩١م.

منهج الدراسة: اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

خطة البحث: ارتكز البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاث وخاتمة ثم النتائج متلوة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد البحث عليها،كما سوف يتضح بداخله.

المبحث الأول: تعريف النقد وشروط الناقد

يقتضي المقام أن نبدأ بتعريف النقد لغة واصطلاحا،قبل الشروع في شروط الناقد..ونبدأ بتعريف النقد»لغة».

أولا:النقد لغة واصطلاحا

تعريف النقد لغة:

أورد صاحب «لسان العرب» معاني عدة»للنقد» وكلها يدور حول التمييز والتمحيص والنظر فقال:» النَّقْدُ والتَّنْقادُ تمييزُ الدراهِم وإِخراجُ الزَّيْفِ منها.. ونَقَدْتُ الدراهم وانتَقَدْتُها إِذا أَخْرَجْتَ منها الزَّيْفَ. وناقدْتُ فلاناً إِذا ناقشته في الأَمر. ونقَد الرجلُ الشيءَ بنظره يَنْقُدُه نَقْداً ونقَدَ إِليه اختلَسَ النظر نحوه وما زال فلان يَنْقُدُ بصَرَه إِلى الشيء إِذا لم يزل ينظر إِليه»[٢].

عصر التابعين.

5– محاولة حثيثة لإنصاف الصحيحين و بيان ما يتعرضان له من هجمة شرسة.

مشكلة البحث :

لقد كثر الطعن في السنة المطهرة، لا سيما فيما رواه الإمامان البخاري ومسلم، لكنَّ هذا الطعن لم يكن طعنا مباشرا، ولم يقصد به البخاري ومسلم تحديدا، وإنما قصد منه إنكار السنة عامة، وهو ما التبس فهمه وإدراكه عند عامة الناس دون آحادهم وذلك عن طريق الأقوال الكاذبة والشبهات الباطلة الواهية بحجة مخالفة العقل مثلا.

ويحاول البحث معالجة هذه المشكلة في إطار من المنهجية العلمية المعتمدة على الدليل والبرهان.

حدود البحث

حد البحث حدود الدراسة فكانت كتب مصطلح الحديث، وكتب علم الرجال والعلل، وكتب النقد الحديثي حديثا وقديما.

الدراسات السابقة:

توجد عدة دراسات سابقة منها:

1– «جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي» تأليف محمد طاهر الجوابي – نشر وتوزيع عبد الكريم بن عبد الله – تونس.

2– علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد – تأليف الدكتور حمزة المليباري– دار ابن حزم – بيروت – لبنان ٣٢٤١هـ/٣٠٠٢م– الطبعة الأولى.

3– علم الرجال وأهميته، تأليف عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض–

2 –ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،**لسان العرب**،دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى ١/٥٢٤. مادة"نقد".

طرق الحديث،وإمعان النظر فيها»[5] ففي التعريف إشارة واضحة إلى أن الأعظمي قصد نقد الإسناد بعد جمع طرق الحديث التي رُوي بها.وعلى حد قول المناطقة فإن تعريف محمد الأعظمي للنقد ليس جامعا مانعا.

لكن إذا نظرنا إلى تعريف أمين دعمش نجده يوافق قول المناطقة في أنه جامع مانع لمعنى «النقد الحديثي» حيث يقول عنه هو:»البحث عن العلل الخفية فيه سواء كانت في المتن أو في السند»[6].

وزاد على هذا التعريف توسعة في المضمون،وزيادة في الاصطلاح محمد طاهر الجوابي فقال:علم نقد الحديث هو»الحكم على الرواة تجريحا أو تعديلا؛بألفاظ خاصة،ذات دلائل معلومة عند أهله،والنظر في متون الأحاديث التي صحّ سندها تصحيحها أو تضعيفها،ولرفع الإشكال عما بدا مشكلا من صحيحها،ودفع التعارض بينها،بتطبيق مقاييس دقيقة..»[7] وكما نلاحظ توسع الدكتور الجوابي في مصطلحه بجعله غير مقصور على نقد الحديث سندا ومتنا،بل يشمل أيضا فهم الحديث لغة وفقها.

ولعل العلاقة الآن اتضحت بين التعريف اللغوي والوضع الاصطلاحي إذ يتآزران ويتحدان معا لبيان أنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا في دلالة كل

5 -لأعظمي،محمد ضياء الرحمن:**معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد**،أضواء السلف،الرياض١٩٩٩،ص ٧١٥.

6 –قارن: دغمش، أمين عمر: **دراسات حديثية تطبيقية في نقد المتن**،بحث غير منشور، جامعة البلقاء التطبيقية،كلية الدعوة وأصول الدين، بدون تاريخ، ص ٤.

7 -الجوابي،محمد طاهر،**جهود المحدّثِينَ في نقد متن الحديث النبوي**،نشر وتوزيع ع.الكريم بن عبد الله،تونس،ص٤٩.

وبالنظر إلى قول ابن منظور في مادة»نقد» فإننا نجدها تدور حول معاني التمييز والتمحيص ومعرفة الجيد من الرديء.

وعليه فإن المعنى اللغوي لكلمة «نقد» في الحديث الشريف هو»تمييز الصحيح من غير الصحيح سندًا ومتنًا.

تعريف النقد اصطلاحا:

وأما ما يخص تعريف النقد اصطلاحا،فقد وقف عليه كثيرون،بعضهم قصد به نقد الإسناد،وبعضهم قصد نقد المتون،والبعض الآخر قصد نقدهما معا.وقبل هذا أشار إليه المتقدمون من المحدثين حيث يقول ابن أبي حاتم في مقدمة»الجرح والتعديل»:»ولما كان الدين هو الذي جاءنا عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بنقل الرواة حق علينا معرفتهم ووجب الفحص عن الناقلة والبحث عن أحوالهم واثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والثبت في الرواية مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث وروايته...»[3]،ثم ذكر أن النقد:»تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة،والحكم على الرواة توثيقا وتجريحا»[4].

ومن المحدثين الذين نَظَّروا واصطلحوا على تعريف مصطلح النقد في علم الحديث محمد الأعظمي في كتابه»معجم مصطلح الحديث» حيث أشار فيه إلى أن مصطلح نقد الحديث إنما يُقصد به:» تمييز الصحيح من السقيم بعد جمع

3 بن أبي حاتم ،أبو محمد عبد الرحمن،مقدمة الجرح- والتعديل،تحقيق المعلم اليماني،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٣٧١هـ،٢٥٩١م ،(٦،٥/١).

4 -السابق.

وبمفهوم المغايرة نستطيع أن نقول إن ابن حبان وضع صفات، واشترط شروطا للناقد وهي:

حفظ السنة.

حيث يتحتم على الناقد حفظ سنن النبي صلى الله عليه وسلم،وأن يحسن تمييز صحيحها من سقيمها.

وجدير بالذكر أن ما ذكره ابن حبان من صفات نستطيع أن نصفها بأنها صفات علمية تخصصية،بعيدا عن الصفات الخُلقية للراوي،كما يمكننا أن نلحظ أن المتأخرين من المحدِّثين كانوا لا يكتفون فقط بالصفات الخلقية والحالّية من تقوى،وزهد،وورع،وغير ذلك من الصفات التي تُقوِّي عدالة الراوي،لكن يجب أن تقترن هذه الصفات الأخلاقية بالصفات العلمية التي أشار إليها ابن حبان.فلربما كثر لدى الراوي الصالح التقي الوهم،أو الخلط بين الأسانيد،أو المزج بين المتون..**وكل ذلك**–لا شك– يقدح في روايته،والأخذ عنه.

ولعل ما ذكره الدارقطني في كتابه سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني يفسر ذلك حيث يعرض لترجمة عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن مسلم أبو قلابة:»قيل لنا إنه كان مجاب الدعوة، صدوقا، كثير الخطأ في الأسانيد والمتون،لا يحتج بما ينفرد به. بلغني عن شيخنا أبي القاسم بن منيع أنه قال عندي عن أبي قلابة عشرة أجزاء ما منها حديث سلم منه إما في الإسناد أو في المتن كأنه يحدث

التميمي البستي،**كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**،تحقيق محمود إبراهيم زايد،دار المعرفة،بيروت،لبنان، ٢١٤١هـ/٢٩٩١م.٣١/١.

منهما على الآخر. كما يمكننا وضع تعريف للنقد الحديثي وهو»القدرة على تمييز الحديث النبوي من حيث قبوله أو ردِّه، والنظر في حال رواته من حيث التعديل والجرح»

ثانيا: شروط الناقد:

إن نقد الحديث النبوي سندا أو متنا أمر لا يتأتَّى لكل أحد،فهذا أمر يحتاج إلى قدرات وإمكانات خاصة، قال بها المتأخرون والمتقدمون **معا**، وإن تفاوتت بينهم هذه الشروط،لكنهم اتفقوا على أن نقد الحديث لا يقوم به أي أحد،ولعل ابن حبان كان واضحا حينما تكلم عن هذه الشروط وتلك الصفات قائلا:»فمن لم يحفظ سنن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحسن تمييز صحيحها من سقيمها.ولا عرف الثقات من المحدثين ولا الضعفاء من المتروكين، ومن يجب قبول انفراد خبره ممن لا يجب قبول زيادة الألفاظ في روايته،ولم يحسن معاني الأخبار،والجمع بين تضادها في الظواهر،ولا عرف المفسر من المجمل،ولا المختص من المقتضى(المفصل)،ولا الناسخ من المنسوخ،ولا اللفظ الخاص الذي يراد به العام،ولا اللفظ العام الذي يراد به الخاص،ولا الأمر الذي هو فريضة وإيجاب،ولا الأمر الذي هو فضيلة وإرشاد،ولا النهي الذي هو حتم لا يجوز ارتكابه من النهي الذي هو ندب مباح استعماله مع سائر فصول السنن وأنواع أسباب الأخبار على حسب ما ذكرناها في كتاب فصول السنن. كيف يستحل أن يفتي؟!أم كيف يسوغ لنفسه تحريم الحلال وتحليل الحرام تقليدا منه لمن يخطئ ويصيب؟ «.[8]

8 - ابن حبان،محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم

شَيْءٌ لَيْسَ الْجَنَابَةَ»[10].

وذكر من خرج الحديث، والأقوال المختلفة في تصحيحه أو تضعيفه،والأقوال المختلفة في المسألة،وأدلة المحرمين وناقشها وفندها فلم للتحريم وجها فحديث الباب ليس فيه ما يدل على التحريم؛ لأن غايته أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك القراءة وقت الجنابة،واستأنس بما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه:» أنه لم ير في القراءة للجنب بأسا»[11] وحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه»[12]

الموضوعية والتجرد:

وأعني بها تغليب الحق على هوى النفس،وأن يكون حب الحق مقدما على حظ النفس من شهرة أو مال أو جاه،فيدور الناقد مع الحق حيث دار،فإنما الرجال يعرفون بالحق،والحق لا يعرف بالرجال.وتلك مزية لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

10 -اللفظ عند أحمد١/٤٨, ٧٠١, وأخرجه بألفاظ قريبة: أبو داود, كتاب الطهارة, باب في الجنب يقرأ القرآن, رقم(٩٢٢ ,(الترمذي, كتاب الطهارة, باب ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح. والنسائي, كتاب الطهارة, باب حجب الجنب من قراءة القرآن قم(٥٦٢) وابن ماجه, كتاب الطهارة وسننها, باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة, .رقم(٤٩٥

11 -ورده البخاري جزءا من عنوان باب في كتاب الحيض, حيث قال:... وقال إبراهيم: لا باس أن تقرأ الآية, ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله فيكل أحيانه...انظر: فتح الباري١/٥٨٤.

12 - أورده البخاري, جزءا من عنوان باب في كتاب الأذان, وهو: باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا وههنا وهل يلتفت في الأذان؟..., وقالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله علىكل أحيانه. وأخرجه مسلم, كتاب الحيض, باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها, رقم(٣٧٣).

من حفظه فكثرت الأوهام منه».[9]

الفهم الصحيح، والفطنة المتوقدة:

ولابد أن يتبع ذلك الحفظ فهم عميق،ورأي سديد نافذ،يُمكِّنَاهُ من تمييز الصحيح من المنكر والمنكر من الصحيح،فكم من ناقدٍ دَعيٍّ،لا يميز بين الصبح والغلس، ولا يبحث إلا في الريح والسلس،ثم يصحح وينكر،وينكر ويصحح دون أدنى أثرة من فهم!

واتباعا للقاعدة الأصولية التي تقول:»ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» فيتحتم على الناقد الحديثي أن يتصف بعقل واعٍ،مدرك يستطيع من خلاله الإحاطة بالحديث ومعناه لغة وفقها وتحليلا.

ومردُّ ذلك يرجع إلى أن الحديث الشريف ركن ركين في التشريع،وإقامة الدين،فلا يصح شرحه،ولا القول فيه قولا يفتقد إلى الفهم،ولا يرقى إلى أهمية ذلك النص المقدس ومكانته في التشريع.وكتب الرجال زاخرة بأمثال هؤلاء الأفذاذ كالإمام النووي، والإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام شمس الدين السخاوي، والإمام الشوكاني وغير هم كثير.

ومما يستشهد به في فهم المحدثين ويقظتهم وفطنتهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحدث فيه الإمام الشوكاني رحمه الله في حديث «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقْضِي حَاجَتَهُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيَأْكُلُ مَعَنَا اللَّحْمَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْجُبُهُ – وَرُبَّمَا قَالَ يَحْجِزُهُ – عَنِ الْقُرْآنِ

9 –الداقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، **سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني**، تحقيق د.موفق ابن عبدالله بن عبدالقادر،مكتبة المعارف،الرياض،٤١ ٤٠هـ/٤٨٩١م.١/١٣١.

إلى الحافظ الخطيب البغدادي؛ شيخ علماء بغداد ومؤرخها ومحدثها أيامئذ، فنظر فيها ثم قال:» هذا كذب، فقال له: وما الدليل على كذبه ؟ فقال: لان فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد ابن معاذ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس»[١٣].

بذلك نقضت الوثيقة، وظهر زيفها وباطلها، ولو جيء بها إلى غير أهلها العلماء لوقعت الأمة في شباك أعدائها ولكنه العلم.

لعل هذه أهم الشروط والسمات التي يجب توافرها فيمن يتصدى للنقد الحديثي،وبنظرة دقيقة إليها فإنها تقودنا إالى حقيقة راسخة ألا وهي أن الناقد الحديثي الحق هو من يتسم ويتصف بأخلاقيات المنهج العلمي الصحيح،فالمنهج العلمي كما هو معروف محكوم بأطر محددة تعصم الناقد من الزلل،وتجنبه الخطأ.ومن مهامها:

1– الأخذ بيدي الناقد إلى الالتزام الحقيقي بمنهج بحثي مستقيم،وخطة علمية لا عوج فيها.

2– تدفع الناقد إلى نسيان حظ نفسه،فتختفي نزعته الذاتية لتتماهى في المنهج العلمي،ويحل محلها المعايير النقدية الصحيحة التي تنطلق من مقدمات منطقية لتصل نتائج وبراهين واضحة لا غبش فيها.

المبحث الثاني: مناهج النقد الحديثي 3–

واتباع الهوى والابتعاد عن الحق فتنة في الأرض وفساد كبير.حيث يقول الحق سبحانه» وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...» (المؤمنون:١٧)

العلم الشرعي،والثقافة الإسلامية:

وذلك من وجوب القول أن يتبع الفهم والموضوعية علم شرعي،وثقافة واسعة،إذ لا يتسنى لجاهل أن ينقد ويفند،ويصعف ويصحح..فهذا ما لايكون! ويلزم ذلك العلم الاطلاع الكافي على كتب الحديث،سيما الصحيحين بوصفهما أصح كتب الحديث، والاطلاع علي كتب العلل لتمييز الحديث الصحيح من الدخيل والعكس، كما يحتاج إلى مع هذا كله إلى معرفة مناهج أهل الحديث ومدارسهم ومناهجهم في التصحيح والتضعييف. ولا ريب أن ثمة علاقة وثيقة بين الناقد الحديثي والثقافة الإسلامية عموما،إذ يرجع إليها الفضل في اكتمال شخصيته،وثبات معلومته،وصحة فرضيته،ودفع الباطل بالحق.

ولقد أورد الإمام ابن كثير–رحمه الله–في البداية:أنه في زمن القرن الخامس الهجري قام اليهود بتزوير إحدى الوثائق —وهذا ديدنهم– زعموا فيها أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أسقط عنهم الجزية، وأعطاهم خيبرا، والمعلوم أن عمر –رضي الله عنه– أخرجهم منها، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب». لكنهم حاولوا بهذه الوثيقة العودة إلى خيبر فجاءوا بها إلى الوزير العباسي أبي القاسم بن مسلمة، وقالوا: معنا كتاب نبوي بإسقاط الجزية وإقرارنا على خيبر، بكتابة صحابي، وشهادة الصحابة،فنظر الوزير العباسي في الوثيقة،وأرسل

13 –ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**،تحقيق علي شيري،دار إحاء التراث العربي،الري اض،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.٢١/٤٢١.

يكذبون،ولا يُكذِّبُ بعضهم بعضا،وما سؤاله صلى الله عليه وسلم إلا توثيقا وللقلب اطمئنانا، وهذا منهج قرآني تمثله صلى الله عليه وسلم فيما حكاه القرآن عن نبي الله إبراهيم–عليه وعلى بنينا الصلاة والسلام–:»وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...»[16]فما كان هذا السؤال شكا منه–حاشاه عليه السلام– في قدرة الله العلي القدير،إنما كان سبيلا إلى اليقين المدَّرع بالطمأنينة.

ثالثا:النقد في عهد الصحابة

وقد كان الصحابة –رضوان الله عليهم–يوثّقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بخطورة الكذب عامة،والكذب عليه صلى الله عليه وسلم خاصة،وكيف لا،وهم يسمعون منه مشافهة قوله:» إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[17] فلا كذب أعظم وأشد من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا يقول الخطيب البغدادي كلاما قيّمًا:»فوجب بذلك النظر في أحوال المحدثين،والتفتيش عن أمور الناقلين احتياطا للدين وحفاظا للشريعة من تلبيس الملحدين»[18]

16 –البقرة:٢٦٠.

17 –البخاري،محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري،**الجامع الصحيح المختصر**،كتاب الأدب،باب قول الله" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" وما نهى عن الكذب،رقم الحديث٣٤٧٥، ٥/١٦٢٢.دار ابن كثير،بيروت، اليمامة٧٠٤١هـ،٧٨٩١م،ط٣،تحقيق مصطفى ديب البغا.

18 –البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب

النشأة والتطور.

وفي هذا المبحث أتعرض للنقد الحديثي من الناحية التاريخية من حيث النشأة والتطور ودوافع وجوده.

أولا :النقد في القرآن الكريم:

إن جذور هذا العلم **ترجع** في نشأتها **– منذ** إرهاصات النبوة وبواكير الوحي**–** إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،ففي ثنايا آيات القرآن الكريم ثناء الله على الصحب الكرام،كما فيها ذم المنافقين والكفار والفاسقين اللئام.

يقول المعلمي في كتابه «علم الرجال وأهميته ما مضمونه،وأقول به»:»أول من تكلم في أحوال الرجال القرآن،ثم النبي صلى الله عليه وآله وسلم،ثم أصحابه،والآيات كثيرة في الثناء على الصحابة إجمالا،وذم المنافقين إجمالا.ووردت آيات في الثناء على أفراد معينين من الصحابة،وآيات في التنبيه على نفاق أفراد معينين،وعلى جرح أفراد آخرين،وأشهر ما جاء في هذا قوله تعالى:»... إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا»[14]نزلت في رجل بعينه كما هو معروف في موضعه،وهي مع ذلك قاعدة».[15]

ثانيا: النقد في العهد النبوي

إن البحث والتنقيب في أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قديم قدم الحديث نفسه،وإن أخذ شكلا بسيطا يتمثل في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم في حدود ضيقة وظرف خاص،أما الأصل في الصحابة الصدق،وأنهم لا

14 الحجرات :٦.-

15 المعلمي،عبد الرحمن بن يحيى المُعلمي- اليماني،بحوث حديثية **علم الرجال وأهميته**،حققها وعلق عليها على بن حسن بن علي بن عبد الحميد،دار الراية للنشر والتوزيع،الرياض،١٤١٧هـ.ص٨١.

القرآن»كما يقول البغدادي.[٢١]

وقول البغدادي معلوم بجلاء،فالصحابة أتقياء أنقياء،اختارهم الله لحمل رسالته،ورسم معالم مكانتهم، وذب عنهم كتاب الله، وشهد لعدالتهم رسول الله:»خير القرون قرني»فما ينبغي لأحد أن يرميهم بسوء بعد هذا.

لقد حرص الصحابة على الحفاظ على السنة النبوية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الذهبي في ترجمته للصديق أبي بكر رضي الله عنه:» وكان أول من احتاط في قبول الأخبار . أي أبو بكر الصديق . فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر . رضي الله عنه . ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال، إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه . فهذا المرسل يدلك على أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة، فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم

ومن شواهد حرص الصحابة —رضوان عليهم– على الصدق والتوثيق عن النبي صلى الله عليه وسلم ما رُوي أن ضمام بن تعلبة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:يا محمد،أتانا رسولك،فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال:صدق...[١٩]

ومنه ما روي أن عليا رضي الله عنه قدم من اليمن بهدي وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة هديًا،وإذا فاطمة قد لبست ثيابا صبيغًا،واكتحلت، قال:فانطلقت محرّشًا أستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله:إن فاطمة لبست ثيابا صبيغا واكتحلت، وقالت أمرني به أبي صلى الله عليه وسلم،قال:صدقت صدقت،أنا أمرتها.

فالصحابة كلهم عدول لا يكذبون،ولا يكذب بعضهم بعضا، بعد أن شهد لهم الله في كتابه:» لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» وقوله:»وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[٢٠].

«إن عدالة الصحابةثابتة معلومة بتعديل الله لهم،وإخباره عن طهارتهم واختباره لهم في نص

21 -ابن أبي حاتم،الجرح والتعديل، (٢/١).

البغدادي،**الكفاية في علم الرواية**،تحقيق أبو عبدالله السورقي , إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية – المدينة المنورة ٥٣/١.

19 –مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد النيسابوري،**الصحيح**،كتاب الإيمان،باب السؤال عن أركان الإسلام.الحديث رقم ٢١. تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت.

20 - الفتح:٨١–التوبة:١٠٠.

مسلم عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ كُنْتُ مَعَ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الأَعْظَمِ وَمَعَنَا الشَّعْبِيُّ فَحَدَّثَ الشَّعْبِيُّ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لَمْ يَجْعَلْ لَهَا سُكْنَى وَلاَ نَفَقَةً ثُمَّ أَخَذَ الأَسْوَدُ كَفًّا مِنْ حَصًى فَحَصَبَهُ بِهِ. فَقَالَ وَيْلَكَ تُحَدِّثُ بِمِثْلِ هَذَا قَالَ عُمَرُ لاَ نَتْرُكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا– صلى الله عليه وسلم– لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لاَ نَدْرِى لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)[٢٤].

ومما يستشهد به في رد الصحابة للحديث الذي يخالف نص القرآن والسنة الصحيحة الثابتة لديهم ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال : توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة وجئنا لنشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وإني لجالس بينهما أو قال جلست إلى أحدهما ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعمرو بن عثمان ألا تنهى عن البكاء ؟ فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه). فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك ثم حدث قال صدرت مع عمر رضي الله عنه من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة فقال أذهب فانظر من هؤلاء الركب ؟ قال فنظرت فإذا صهيب فأخبرته فقال ادعه لي فرجعت إلى

24 -مسلم،**صحيح مسلم**،كتاب الطلاق،باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها،رقم الحديث٣٨٧٣،دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت،٨٩١/٤.

.يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج. اهـ[٢٢]

وعلى هذا النهج كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان لا يقبل رواية لحديث إلا إذا أتى الرواي بشاهد كما في مسند الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَرَجَعَ فَأَرْسَلَ عُمَرُ فِي أَثَرِهِ لِمَ رَجَعْتَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ «إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثاً فَلَمْ يُجَبْ فَلْيَرْجِعْ»[٢٣].

وكذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان إذا حدثه أحد بحديث استحلفه، وكان هو وعمر بن الخطاب أول من فتشا عن الرجال وبحثا عن الأخبار، وتوسعا في ذلك كما لم يتوسع غيرهما من قبل.

والشواهد على منهج الصحابة في نقد متون الحديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها،وتذخر كتب السنة الصحيحة لا سيما البخاري ومسلم.

كان هذا هو منهج الصحب الكريم في قبول الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحيطة والتثبت في أخذ الرواية وأدائها،ولعل هذا الحرص حدا بهم إلى وضع قيود أشد صرامة في قبول الرواية فاشترطوا أن تكون الرواية متوافقة مع نصوص القرآن وصحيح السنة الثابت لديهم،وما لم تكن منسوخة بأخرى،فإن كانت كذلك قبلوها،وإلا ردوها.ومن هذا ما روي في صحيح

22 - الذهبي،شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز،**تذكرة الحفاظ**،دار إحياء التراث العربي،لبنان،الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م ٢/١

23 - أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني،**مسند أحمد**،حديث ٧٣٠٢.

ومما يستشهد به –أيضا– في هذا المقام ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما حول رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج ورد عائشة لهذا الحديث:» عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ مَا هُنَّ قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا –صلى الله عليه وسلم– رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلاَ تعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ) (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى). فَقَالَتْ أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ « إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِى خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرُ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ». فَقَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ (لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِىٌّ حَكِيمٌ) قَالَتْ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ). قَالَتْ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِى غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ (قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ)[٢٧].

صهيب فقلت أرتحل فالحق أمير المؤمنين فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول وا أخاه وا صاحباه فقال عمر رضي الله عنه يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه) وقالت حسبكم القرآن « ولا تزر وازرة وزر أخرى» . قال ابن عباس رضي الله عنهما عند ذلك والله هو أضحك وأبكى. قال ابن أبي ملكية والله ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيئا»[٢٥].

إن عائشة رضي الله عنها لم تتهم عبد الله بن عمر في أمانته ولا صدقه،لكنها أرجعت هذا إلى سببين:النسيان،والخطأ.ثم ذكرت الرواية الصحيحة فقالت فيما رواه مسلم:» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ وَذُكِرَ لَهَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَىِّ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَغْفِرُ اللَّهُ لأَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ وَلَكِنَّهُ نَسِىَ أَوْ أَخْطَأَ إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عَلَى يَهُودِيَّةٍ يُبْكَى عَلَيْهَا فَقَالَ « إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِى قَبْرِهَا «[٢٦].

25 - مسلم،كتاب الجنائز،باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم ٧٢٩ ، ٨٢٩ ، ٩٢٩.

26 - مسلم،كتاب الجنائز،باب باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم ٩٩١٢

27 - مسلم،كتاب الإيمان،باب معنى قوله تعالى"ولقد رآه نزلة أخرى"،رقم ٧٥٤.

الحديث.

ويسوق البغدادي في الكفاية ما يدلل على هذا فيقول:»قال مكحول:دخلنا على واثلة بن الأسقع فقلنا:يا أبا الأسقع حدِّثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وهم ولا نسيان،فقال:هل قرأ أحد منكم الليلة من القرآن شيئا؟قالوا نعم.قال:فهل زدتم ألفا أو واوًا أو شيئا؟فقلت:إنا نزيد وننقص وما نحن بأولئك في الحفظ،فقال:هذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار،فكيف ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين؟!إذاحدثتكم على معناه فحسبكم»[٣٠].

وبالبحث عن أسباب أخرى تفسر لنا علة ظهور النقد الحديثي في بواكيره نجد أن ظهور الفتن،وما تبعها من التلفيق والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من أشد الأسباب وأقواها إلى ضرورة وجود ما عرف بالنقد الحديثي ومعرفة الحديث دراية ورواية.ومن هنا عدَّ علماء الحديث الإسناد من الدين ففي مسلم عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ:» لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ».[٣١]

يقول عزيز رشيد الدايني:»على أن الأمة شهدت فتنًا كثيرة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ودخل كثير ممن لم يتشبعوا بالإسلام في هذا الدين العظيم لأسباب مختلفة، وبدأت

وكان هذا الحديث الذي ينفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ردا على حديث ابن عباس الذي يثبت هذه الرؤية.

وأما ما يخص ردَّ الحديث بالحديث ففي ما يرويه الإمام مسلم دليل على هذا من حديث عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ بَلَغَ عَائِشَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ فَقَالَتْ يَا عَجَبًا لِابْنِ عَمْرٍو هَذَا يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ أَفَلاَ يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَحْلِقْنَ رُءُوسَهُنَّ لَقَدْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَلاَ أَزِيدُ عَلَى أَنْ أُفْرِغَ عَلَى رَأْسِى ثَلاَثَ إِفْرَاغَاتٍ»[٢٨].

لكنَّ ثمة ملمح لا بد أن أشير إليه ألا وهو أن عرض الصحابة الحديث على القرآن كون القرآن محفوظ بحفظ الله له فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وهناك ملمح آخر وهو أن عدالة الصحابة شيء وضبطهم وحفظهم شيء آخر،فهم —ولا شك– متفاوتون في درجة حفظهم،كما هو شأن البشر جميعا،حفظ منهم من حفظ، ونسي منهم من نسي،وقد جاء في الكفاية للبغدادي أن ابن أبي ليلى قال لزيد بن أرقم:حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:»كبرنا،ونسينا،والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد».[٢٩]

وكان ذلك سببا رئيسا في ظهور النقد الحديثي،فالنسيان آفة الأناسيّ،والخطأ والسهو من طبيعتهم،وإن تفاوتوا فيه وتباينوا لاعتبارات السن،والمرض،وغيره ممن تكلموا في أحوال رجال

28 -مسلم،كتاب الحيض،باب ضفائر المغتسلة، رقم ٣٧٧.

29 -الخطيب البغدادي،**الكفاية** ١/١٧١.

30 -السابق/٤٠٢.

31 - مسلم،**الجامع الصحيح**،باب أن الإسناد من الدين،حديث رقم٧٢.

تكون منسوخة،أو كانت عامة ثم خُصصت،أو مُطْلقة ثم قُيِّدت،فيفتي كل منهم بغير ما عليه الآخر،لعدم سماع كل منهما برواية صاحبه.

كذلك تفاوتت درجات فهمهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعتبارات كثيرة منها الملكة العقلية،العلم بسياقات الحديث ومناسبته،القدرة الاستنباطاتية لديهم كما هو الحال عند ابن عباس رضي الله عنه.

رابعا:أسباب ظهور النقد في عصر التابعين

رأينا كيف كان النقد الحديثي في عصر الصحابة وأنه اعتمد على نقد متون الأحاديث،وكيف تشدد الصحابة في قبولها أو رفضها إذا لم يكن عليها شاهد،أو خالفت أصلا شرعيا أو نصا قرآنيا،وامتدت هذه الحقبة حتى بدايات النصف الثاني من القرن الثاني الهجري؛أي زهاء سنة ١٥٠هجرية.

إن ثمة أسبابا قوية دفعت المسلمين الى العناية بالإسناد، من هذه الأسباب ظهور الفتن التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخول فئام كثيرة من الناس في الإسلام،المحب والكاره،وسرعان ما ظهرت نوايا الكارهين السوداء،فراحوا يزرعون الفتن،ويبثون سمومهم كذبا وتلفيقا،وتشتيتا وتفريقا في شمال الجزيرة العربية التي قال رسول الله فيها:»الفتنة من ههنا،الفتنة من ههنا،من حيث يطلع قرن الشيطان»[٣٣]

لقد حدَّت هذه الفتن من إمكانية قبول الحديث النبوي كثيرا دون النظر إلى الإسناد وذلك لانتشار الكذب من ناحية،وجرأة الكذابين الفرق والأهواء والنزاعات السياسية والعقائدية تظهر،وصار بعض الناس يبتعد عن تلك الحياة الطاهرة النقية التي عاشها الصحابة الكرام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛لذا بدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يظهر شيئا فشيئا لنصرة تلك الأهواء «[٣٢]

على أننا يمكن أن نلحظ سمة أخيرة في سمات منهج النقد عند الصحابة ألا وهي تفاوت الصحابة في الحديث روايةً وفهمًا،فمن المعلوم أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفاوتت درجات ملازمتهم له،فمنهم الملازم،ومنهم البعيد،وذلك بحسب مشاغلهم،وسعة أوقاتهم،فمنهم التاجر في سوقه،والزارع في أرضه،والغازي في جيشه،كذلك يؤخذ في الاعتبار اختلاف سنوات إسلامهم،فهم بالطبع لم يسلموا جميعا في وقت واحد،لكن في وقت لاحق،فمنهم السابق ومنهم اللاحق.

ولا ريب أن هذه العوامل قد شكَّلت بشكل كبير شخصية الصحابي الحديثية والفقهية معا،وذلك بما لديه من عدد مرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم فَمُقِلٌّ ومُسْتَكْثِر،ومن الأكثرين أبو هريرة وابن عباس وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم وسبب كثرتهم في الرواية قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم بما تهيأت لهم من ظروف وأحوال.

وحتّم هذا التفاوت في الرواية اختلاف الصحابة في قبول روايات بعضهم لبعض،إذ كل منهم يحدِّث بما لديه من روايات التي من المحتمل أن

32 - الدايني،عزيز رسيد الدايني،**أسس الحكم على الرجال**،دققه وراجعه الدكتور بشار عواد معروف العبيدي. دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،٢٠٠٦،١٤٢٧هـ.ص٣٠.

33 -مسلم، كتاب الفتنة من المشرق، باب الفتنة من المشرق حيث يطلع قرنا الشيطان، رقم الحديث ٦٧٤٧.

لا وقد رأوا بأم أعينهم الكذابين والضالين من أهل النفاق والشقاق يفارون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون ما لم يقله.

جاء في فتح المغيث للسخاوي:»وتكلم في الرجال،كما قاله الذهبي،جماعة من الصحابة ثم من التابعين كالشعبي،وابن سيرين،ولكنه في التابعين بقلة،لقلة الضعف في متبوعيهم إذا أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات ولا يكاد يوجد في القرن الأول الذي انقرض في الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور والمختار الكذاب»[٣٦]

ومن أئمة التابعين الذين حملوا لواء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:سعيد بن المسيب،وسالم بن عبد الله بن عمر،والقاسم بن محمد،وعلي بن الحسين بن علي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف،وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة،وخارجة بن زيد بن ثابت،وعروة بن الزبير،وسليمان بن اليسار،وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فقد كانوا مشاعل علم أضاء بهم مصباح رواية الحديث الشريف فرضي الله عنهم.

«ورحل في جمع السنن جماعة بعدهم منهم:الزهري ويحي بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة وسعد بن إبراهيم في جماعة معهم من أهل المدينة إلا أن أكثرهم تيقظا،وأوسعهم حفظا،وأدومهم رحلة،وأعلاهم همة،الزهري رحمة الله عليه»[٣٧].

من ناحية أخرى لا سيما في الكوفة حيث وقف الفقهاء موقفا حازما حاسما حين رفضوا الاحتجاج بأحاديث أهل الكوفة لتفشي الكذب فيهم.يقول ابن تيمية في مجموعة الفتاوى:»وأما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم،ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب،لا سيما الشيعة،فإنهم أكثر الطوائف كذبا باتفاق أهل العلم، ولأجل هذا يذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق؛ لأنهم قد علموا أن فيهم كذابين،ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب»[٣٤]

ويذكر ابن تيمية حال أهل الحديث ومنهجهم الذي اتبعوه إزاء هذا السيل العارم من الكذب والوضع فيقول:»وأما علماء أهل الحديث كشعبة ويحي بن سعيد وأصحاب الصحيح والسنن،فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم،فيعلمون من بالكوفة والبصرة من الثقات الذين لا ريب فيهم،وأن فيهم من هو أفضل من كثير من أهل الحجاز،ولا يستريب عالم في مثل أصحاب عبد الله بن مسعود...وأمثالهم من أوثق الناس وأحفظهم،فلهذا صار علماء أهل الإسلام متفقين على الاحتجاج بما صححه أهل العلم بالحديث من أي مصر كان».[٣٥]

ثم جاء دور التابعين ليكملوا ما بدأه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليسطروا هم أيضا دورا مهما في صون الحديث النبوي،وكيف

36 – السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،**فتح المغيث شرح ألفية الحديث**،دار الكتب العلمية،– لبنان،الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ،٣/١٥٣.

37 -المجروحين ١/٣٢١.

34 -ابن تيمية،تقي الدين أحمد بن تيمية،**مجموعة الفتاوى**،دار الوفاء للطباعة والنشر،ط٣،مصر،المنصورة،٢٠٠٥م،٢/٥٧١.

35 -السابق ٢/٥٧١.

منهجهما القويم مزاعمكم التي هي أضعف من خيوط العنكبوت،وأحير من ضب،لتعرفوا حينها أنكم أضل من حمار أهله.

وقبل الشروع في بيان منهج الشيخين أقف عند ترجمتهما،وهما من العلمية بجلاء،وأنا على يقين أني لن أبلغ من الحديث عنهما،والتعريف بهما إلا مقدار ما يبلغه واصف الشمس وهو لا يعرف منها إلا أنها كوكب ينسخ طلوعه سواد الليل.

الإمام البخاريُّ رحمه الله. —

في التذكرة للذهبي:"البخاري (تحذف الجملة) شيخ الإسلام وإمام الحفَّاظ،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري صاحب الصحيح والتصانيف.[38]

مولده ونشأته: مولده في شوال سنة أربع وتسعين ومئة.وأول سماعه للحديث سنة خمس ومئتين،وحفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبي،ونشأ يتيما،ورحل مع أمه وأخيه سنة عشر ومئتين بعد أن سمع مرويات بلده من محمد بن سلام،والمسندي،ومحمد بن يوسف البيكندى.[39]

نبوغه منذ الصغر:أُلهم حفظ الحديث و هو في الكتّاب و جلس عند الشيخ الداخلي يطلب الحديث و هو ابن عشر سنين .وحفظ كتب ابن المبارك و وكيع و هو ابن ست عشرة سنة ثم خرج إلي الحج مع أمه و أخيه أحمد،فلما حجوا رجع أخوه بأمه و تخلف هو في طلب الحديث.[40]

رحلاته وشيوخه: سمع ببخاري قبل أن يرتحل من

المبحث الثالث:منهج الشيخين في صحيحيهما

ما يزال المتأمل والمتابع للواقع المعاصر يلحظ الهجمة الشرسة المستعرة نارها من قبل أعداء الأمة على الصحيحين وشيخيهما،رغبة في هدم صرح السنة الشامخ الذي أقامه أهلها على تقوى من الله ورضوان،فقد انبجست هذه الطعون من نفوس بغيضة كرهوا الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن انطوت عليه نفوسهم زمنا طويلا لا يستطيعون البوح به إلا بينهم وبين أنفسهم،لكنهم الآن بعد أن اكتملت لهم أدوات الفتنة وأسبابها،برزوا يموجون بما صدورهم من بغضاء لم يجعلوا لهم من دونها سترا،فراحوا يطلقون سهامهم المسمومة في الإمامين تارة،وفي الصحيحين تارة أخرى متخذين في ذلك ما أتيح لهم من أدوات ووسائل مكتوبة ومسموعة ومرئية.

ومما يؤسف له أن جلَّ هذه الهجمات وجدت أبواقا من أبناء المسلمين،نشأوا في أحضان عدونا،وانغمسوا في مستنقع أفكاره،ورضعوا سمومهم،لأنهم عبيد لهم،والعبد وما ملك لسيده، ثم شرعوا يتقيئونها في آذاننا متوهمين أن الأمة خلت من آسادها فتجرأوا على سنة نبيها،ورموها بسهام عدة في شدة.

وعلى الرغم من كثرة النبال،وتكسر النصال على النصال،لا تزال هذه الأمة في سنة نبيها مرحومة مصونة،ولن تعدم الأمة من يدفع هذه السهام ولو كلفه ذلك نفسه التي بين جنبيه.

لهؤلاء الجبناء أقول،أنتم خزايا جبناء،وللشيطان أجراء،سيخيب سعيكم،ولن تحصودوا جراء غرسكم إلا الخيبة،وستظل السنة شامخة،باقية ببقاء الإسلام،وسيظل الإمامان علامة بارزة في أمانة النقل،وعلمية المنهج،وستتهاوى أمام

38 - الذهبي،شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز،**تذكرة الحفاظ**،دار إحياء التراث العربي،لبنان،الطبعة الأولى ، 9141هـ،8991م،401/2. بتصرف يسير.

39 - السابق.

40 - السابق.

.كما أخبر عن نفسه رحمه الله[43] الغيبة تضر أهلها

وفاته رحمه الله: قال عبد القدوس بن عبد الجبار:جاء محمد بن إسماعيل إلي خرتنك — و هي قرية علي فرسخين من سمرقند — و كان له بها أقرباء ، فنزل عندهم ، فسمعته ليلة يدعو،و قد فرغ من صلاة الليل:اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك،فما تم الشهر ومات البخاري ليلة عيد الفطر سنة حتي مات. ست و خمسين ومئتين،و قد بلغ اثنتين وستين سنة.[44]

منهج الإمام البخاري في الصحيح

أولا:منهجه في الأسانيد

الصحة والضبط: لقد رسم البخاري معالم 1– منهجه منذ الوهلة الأولى لعزمه وضع مصنفه حين قال:»كتبت ألف ثقة من العلماء و زيادة و ليس عندي حديث لا أذكر إسناده»[45]مؤكدا بذلك اهتمامه البالغ بالدراية التامة بحال الرواة،وكيف تلقوا الحديث؛حتى تطمئن نفسه في الأخذ عنهم. والاتصال فيما بينهم،وألا تكون أحاديثهم شاذة الأمر الذي جعله لا يتورع في رد أية.أو معلولة رواية يشك فيها،أو لا تطمئن لها نفسه،وفي هذا يقول:»يا أبا فلان أتراني أدلس؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، و تركت مثله أو أكثر لغيره لي فيه نظر»[46]وهذا تشدد محمود

43 - السابق.

44 –الذهبي ،**تذكرة الحفاظ**، ٢/٤٠١.بتصرف يسير.

45 – الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي،**تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية — بيروت.٢/٠١.

46 -الخطيب البغدادي،أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت،**تاريخ مدينة السلام،وأخبار محدثيها،وذكر قطانها العلماء من غير أهلها،ووارديها**.حققه،وضبط نصه،وعلق عليه:بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،بيروت،الطبعة

محمد بن سلام البيكندي و عبد الله بن اليمان الجعفي و جماعة ليسوا من كبار شيوخه ،ثم سمع ببلخ من مكي بن إبراهيم،و هو من عوالي شيوخه،وبنيسابور من يحيي بن يحيي وجماعة، وبالرَّيِّ في خراسان من إبراهيم بن موسي،وببغداد من محمد ابن عيسي ومحمد ابن سابق،وأحمد بن حنبل،و يحيي بن معين و غيرهم، و بالبصرة من أبي عاصم النبيل،و محمد بن عرعرة،وبالكوفة من خالد بن مخلد،وعبيد الله بن موسي،وبالمدينة من إسماعيل ابن أبي أويس،وسعيد ابن أبي مريم،وبالشام من علي بن عياش،وآدم بن أبي إياس.[41]

حفظُهُ وسَعةُ عِلمِهِ:

قال البخاري رحمه الله عن نفسه:"كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده. والأخبار في كثرة حفظه ومتانته ورسوخه كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.[42]

مكانته وثناء الأئمة عليه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:"سمعت أبي يقول:ما أخرجت خرسان مثل محمد بن إسماعيل قال ابن حجر بعد أن ذكر ثناء شيوخه و أقرانه عليه : و لو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس،ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له.

وكان فيه من الصلاح والتقوى يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة،ويقوم بعد التراويح كل .ولم يغتب أحدا منذ علم أن ثلاث ليالي بختمة

41 - السابق.

42 - السابق.

الفقه،حيث يخرج الحديث من الباب ليبين الدلالة منه على ما ترجمه به،ويكتفي بحديث أو حديثين،لكون ذلك معلوما،وقد يستدل للمسألة بعدد من الأحاديث بغية استخراج الفقه منها،وليس قصد الفوائد الحديثية.

3– منهج ثابت في البخاري لم يكن للإمام ترتيب أحاديث الباب الواحد،بل كان ترتيب أحاديث الباب يتغير تبعا للغرض الذي من أجله جاء بتلك الأحاديث، فقد يأتي بالحديث ليُسمي راوياً،أو يلفت النظر إلى وجود زيادة في الرواية،أو لأجل تصريح راوٍ بالسماع من راوٍ آخر،أو لتوضيح نسخ حكم،إلى غير ذلك من الفوائد.

4– غلب على منهجه تقديم الإسناد العالي أولا ثم يُتبعه النازل.

ثالثا: منهج البخاري في المعلقات والمراسيل:

لقد اشترط البخاري في تخريج صحيحه أنه لن يُخرج إلا ما كان متصلا سنده،بيْد أنه أورد في التراجم والمتابعات بعض الأسانيد غير المتصلة لأغراض علمية أخرى.

المعلقات: والحديث المعلق هو هو — ما حذف أول سنده،سواء أكان المحذوف واحداً أم أكثر على التوالي، ولو إلى آخر السند،وللأحاديث المعلقة في صحيح البخاري حالتان:

الأولى: قد يورد البخاري الحديث معلقا،لأنه ذكره موصولا في موضع آخر.وأما عن علة تعليقه فهي عدم رغبته ألا يكرر شيئا إلا لفائدة،كاشتمال المتن على أحكام متعددة فإنه يكرّره،وقد يقطعه في الأبواب إذا كان يمكن فصل الجملة عن الأخرى،ومع ذلك فهو لا يكرر للبخاري حيث لا يرضى أن يأخذ الحديث إلا عن تقي ورع،التقى مع الإيمان لقاء حقيقيا لا خيالا،والتزم هذا النهج في شيوخه،ورجال الإسناد،وممن روى عنهم.

اللقيا والمعاصرة: كما اشترط رحمه الله بمبدأ اللقيا والمعاصرة بين الراوي والراوي المكثر حتى يخرج له في الأصول على أن يثبت هذا الاتصال بين الراوي بمن روى عنه بالعنعنة بالنصّ،وليس بالمعاصرة فقط. فإذا كانت الملازمة والصحبة بين الراوي والمروي عنه لمدة قصيرة فإنه يُخرج له في المتابعات والشواهد.

ثانيا: منهجه في ترتيب أحاديث صحيحه:

1– لقد حرص البخاري على العناية بترتيب،وتبويب الأحاديث،حيث رتبها طبقا للموضوعات والأبواب؛مما يعني مقدرته،وسعة علمه،ومتانة حفظه،وعظيم فهمه للكتاب والسنة، والمقدرة على الاستنباط،يقول ابن حجر في الفتح:»ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة»[47]

2– ترتيب الصحيح على أبواب كتابه على تراجم البخاري رتب :الفقه

الأولى،٢٢٤١هـ،١٠٠٢م.٦٤٣/٢.

47 –ابن حجر،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**،دار المعرفة،بيروت،٧٩٣١هـ،٨/١.

بشرطه، ومنه ما لا يلتحق.

2– وإما أن يورده بصيغة التمريض؛ فمنها الحديث الصحيح،والحسن،والضعيف؛ لكونها جميعا ليست على شرطه في الاتصال.فإن أورده للاحتجاج والاستشهاد فهو صحيح،أو حسن،أو ضعيف منجبر، وإن أورده في معرض الرد فهو ضعيف عنده.

المراسيل :– الحديث المرسل هو ما رفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم،وقد يكون سقط منه صحابي أو صحابي وتابعي،أو ربما أكثر من ذلك،فهو من المنقطع،لانقطاع سندها،وافتقادها شرط الصحة وهو اتصال السند،وعليه،فإن البخاري لم يخرج الأحاديث،وهي مروية في المتابعات والشواهد.

أنه ربما والعلة عند البخاري من إيراده المراسيل أرد التوجيه إلى الخلاف في الحديث،وأنه صحيح لا يضره الخلاف،فيخرجه على وجهين: الإرسال والوصل،أو الوقف والرفع، فيُخرجه ابتداءً من طريق صحيح متصل،ثم يذكر المرسل في المتابعات والشواهد والمعلقات،فيكون المرسل مقويًّا للمتصل بعد أن ثبتت صحة الوصل والرفع

رابعا:الآثار الموقوفة ومنهج البخاري فيها:

من البخاري وأما عن الموقوفات فقد يوردها فتاوى الصحابة والتابعين وتفاسيرهم لكثير من الآيات،استئناساً وتقوية لما يختاره من المذاهب،وذلك فيما فيه خلاف بين الأئمة،ويجزم بما صح عنده من الآثار الموقوفة،ولو لم تكن على شرطه، وأما ما في إسناده ضعف أو انقطاع فلا يجزم به،إلا إذا كان منجبرا،بمجيئه من وجه آخر أو بشهرته عمن قاله.

الإسناد،بل يغاير بين رجاله،فإذا لم يكن للحديث إلا إسناد واحد، واشتمل على أحكام واحتاج إلى تكريرها،فإنه حينها يختصر المتن أو الإسناد. ابن حجر:»اعلم أن البخاري رحمه الله كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج طريق واحدة، فيتصرف حينئذ فيه، فيورده في موضع موصولاً، وفي موضع معلقاً، ويورده تارة تاماً، وتارة مقتصراً على طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب، فإن كان المتن مشتملاً على جمل متعددة، لا تعلق لإحداها بالأخرى فإنه منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقلما يورد حديثاً في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها...فمنها أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر، والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة، وهلم جرا إلى مشايخه، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة."[٤٨]

ومن الأحاديث في الصحيح ما لا يوجد **الثانية:** إلا معلقاً، وهو أحد شكلين:

1– إما أن يورده بصيغة الجزم،فمنها ما هو صحيح لكنها ليست على شرطه.ويُستفاد منها الصحة إلى من علّق عنه، لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث، فمنه ما يلتحق

48 – ابن حجر،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**،دار المعرفة،بيروت،١٣٧٩هـ،١/١٥.

كانت للبخاري تعقيبات لها فوائد للتوضيح غريب تارة أو التنبيه تارة أخرى فشرح شيئا من ذكر مختلف الحديث،وذكر الناسخ والمنسوخ،و الحديث ويبين مختلف الحديث، ويحلُّ بعض ما أُشكل منه.

الإمام مسلم رحمه الله –

مولده ونسبه: ذكره الإمام الذهبي في السير أحسن الذكر فقال:" الإمام الكبير،الحافظ،المجود، الحجة،الصادق،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري، النيسابوري،صاحب (الصحيح)، فلعله من موالي قشير.قيل:إنه ولد سنة أربع ومائتين.[49]

رحلته في طلب العلم: وأول سماعه في سنة ثمان عشرة فسمع بمكة من: القعنبي وبالكوفة من: أحمد بن يونس، وجماعة.وأكثر عن علي بن الجعد، لكنه ما روى عنه في (الصحيح) شيئا. وسمع: بالعراق، والحرمين، ومصر.[50]

شيوخه: روى الإمام مسلم عن جمع غفير من الشيوخ، فروى على مثالا لا حصرا عن:إبراهيم بن خالد اليشكري،وإبراهيم بن دينار التمار،وإبراهيم بن زياد سبلان،وإبراهيم بن سعيد الجوهري... وغيرهم وهم كثر وعدتهم: مائتان وعشرون رجلا، أخرج عنهم في (الصحيح).[51]

تلاميذه ورواته: روى عنه،رحمه الله،خلق كثير منهم:علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي – وهو أكبر منه – ومحمد بن عبد الوهاب

خامسا: البخاري ومنهجه في تكرار الحديث:

لا مراء في أن البخاري كرر كثيرا من الأحاديث في مواضع عدة من صحيحه،لكن بإسناد آخر،واستنباطا لمعنى فقهي يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقليلا ما يورد البخاري حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد،وإنما يورده كأن يخرج:من طريق أخرى لفوائد يبتغيها الحديث عن حدِّ الغَرابة،أو إزالة الشبهة عن تعارض اختلاف عبارات الرواة،أو الناقلين،أو الوصل والإرسال أو الوقف والرفع.

سادسا:البخاري ومنهجه في المتون

صحيحه البخاري قسم:**ترتيب تراجم الأبواب** إلى سبعة وتسعين كتابا، كل كتاب ينقسم إلى عدد من الأبواب، ووضع لهذه الأبواب عناوين،عرفت بالتراجم،وتنوعت هذه العناوين أو التراجم إلى: وهي التي يدل عنوان الباب فيها :**ظاهرة** على مضمونه من الأحاديث دلالة واضحة.

تحتاج إلى استنباط **خفية**:وهي استنباطية لاحتمالها أكثر من معنى،أو احتمال الحديث البخاري:»باب جهر أكثر من معنى كقول ،رضي أبي هريرة الإمام بالتأمين»،ثم ذكر حديث (إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا،فَإِنَّهُ مَنْ:الله عنه،مرفوعا وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)،فالترجمة ذكرت جهر الإمام في التأمين،مع أن الحديث لم يذكر ذلك صراحة،لكنه محتمل لذلك،فعينت الترجمة هذا الاحتمال.

مرسلة:وهي أن يذكر البخاري الباب دون أن يسميه،أو يضع عنوانا له، وهي قليلة.

سابعا: البخاري ومنهجه في ذكر الفوائد والتعليق على بعض الروايات:

49 - الذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي،**سير أعلام النبلاء**،تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،46/42.بتصرف يسير.

50 - السابق.

51 - السابق.

وتصنيفه.

وقصد أن يذكر في القسم الأول أحاديث أهل الإتقان، وفي القسم الثاني أحاديث أهل الستر والصدق الذين لم يبلغوا درجة المتثبتين، فحالت المنية بينه وبين هذه الأمنية، فمات قبل استتام كتابه.

وقال الحاكم:أراد مسلم أن يخرج (الصحيح) على ثلاثة أقسام، وعلى ثلاث طبقات من الرواة، وقد ذكر هذا في صدر خطبته، فلم يقدر له إلا الفراغ من الطبقة الأولى،ومات.

ثم ذكر الحاكم مقالة هي مجرد دعوى، فقال: إنه لا يذكر من الأحاديث إلا ما رواه صحابي مشهور له راويان ثقتان فأكثر، ثم يرويه عنه أيضا راويان ثقتان فأكثر، ثم كذلك من بعدهم.[54]

وفاته: توفي مسلم رحمه الله في شهر رجب،سنة إحدى وستين ومائتين، بنيسابور،عن بضع وخمسين سنة.

ويذكر ابن خلكان في الوفيات:"وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الأحد ودفن بنصر أباذ ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس، وقيل لست، بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، وعمره خمس وخمسون سنة".

وعلق ابن خلكان على أن هذا التاريخ يوافق ما ذهب إليه ابن الصلاح نقله عن النيسابوري في كتابه"علماء الأمصار"[55].

54 - السابق بتصرف.

55 –ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت،ط١، ١٩٩٤م،٥/٤٩١.

الفراء ،وأبو بكر محمد بن النضر بن سلمة الجارودي،وعلي بن الحسين بن الجنيد الرازي، وصالح بن محمد جزرة، وأبو عيسى الترمذي في (جامعه)،وأحمد بن المبارك المستملي، وعبد الله بن يحيى السرخسي القاضي، وأبو سعيد حاتم بن أحمد بن محمود الكندي البخاري، وإبراهيم بن إسحاق الصيرفي...وغيرهم.[52]

مكانته وأقوال العلماء فيه

كان رحمه الله وعاء من أوعية العم،وذكره علماء الحديث ذكرا طيبا،فقد قال عبد الرحمن بن أبي حاتم:كان مسلم ثقة من الحفاظ.وعَدَّه محمد بن بشار من حفاظ الدنيا الأربعة فقال:حفاظ الدنيا أربعة:أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث.

ويذكر الحاكم تقديم الناس لمسلم فيقول:قال الحاكم:سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول:رأيت شيخا حسن الوجه والثياب،عليه رداء حسن،وعمامة قد أرخاها بين كتفيه.فقيل: هذا مسلم.فتقدم أصحاب السلطان،فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين، فقدموه في الجامع،فكبر، وصلى بالناس.[53]

تأليفه للصحيح:

سلك مسلم بن الحجاج مسلك البخاري، فأخذ في تخريج كتابه وتأليفه، وترتيبه على قسمين،

52 - السابق.

53 - السابق.

مسلم لم يكتب عناوين أبواب صحيحه كصنوه البخاري،وأن والعناوين التي نعرفها .إنما من وضع الإمام النووي أو علماء قبله

النتائج والتوصيات

استطاع البحث أن يصل إلى النتائج التالية:

1– هناك علاقة بين التعريف اللغوي والوضع الاصطلاحي للنقد إذ يتآزران ويتحدان معا لبيان أنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا في دلالة كل منهما على الآخر.

2– نقد الحديث النبوي سندا أو متنا أمر لا يتأتَّى لكل أحد،فهذا أمر يحتاج إلى قدرات وإمكانات خاصة، قال بها المتأخرون والمتقدمون معا، وإن تفاوتت بينهم هذه الشروط،لكنهم اتفقوا على أن نقد الحديث لا يقوم به أي أحد.

3– إن جذور هذا النقد الحديثي ترجع في نشأتها – **منذ** إرهاصات النبوة وبواكير الوحي– إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،ففي ثنايا آيات القرآن الكريم ثناء الله على الصحب الكرام،كما فيها ذم المنافقين والكفار والفاسقين اللئام.

4– إن البحث والتنقيب في أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قديم قدم الحديث نفسه،وإن أخذ شكلا بسيطا يتمثل في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم في حدود ضيقة وظرف خاص.

5– إن عدالة الصحابةثابتة معلومة بتعديل الله لهم،وإخباره عن طهارتهم واختباره لهم في نص القرآن.

6– كان منهج الصحب الكريم في

منهج الإمام مسلم في الصحيح: قسم الإمام مسلم الصحيح إلى ثلاثة أقسام:

1– القسم الأول أحاديث أهل الإتقان .وقد حافظ على تخريج رواياتهم

2– القسم الثاني أحاديث أهل الستر والصدق الذين لم يبلغوا درجة المتثبتين. .فهؤلاء يتبع رواياتهم أهل القسم الأول

3– الوضَّاعون للحديث،وأصحاب الأحاديث المنكرة والمغلوطة،فهؤلاء يمسك وقد اعتمد مسلم في بناء.عن الرواية عنهم صحيحه على القسم الأول في الأصول،ثم قد يتبع الحديث بشواهد من القسم الثاني. أما القسم الثالث فتركه،وأهمله،ولم يذكره في .صحيحه

4– قال إن الإسناد المعنعن–السالم صاحبه من وصمة التدليس– له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعِن والمعنعَن عنه، وإن لم يثبت اجتماعهما.

5– خرَّج لرواة تركهم البخاري،وصحح أحاديث قال عنها البخاري إنها معلولة،وأعلَّ أحاديث صححها البخاري،وترك رواة روى لهم البخاري.

منهج الإمام مسلم في ترتيب صحيحه:
رتب الإمام مسلم الروايات في كل باب بحسب صحتها. فبدأ بأصح العبارات لفظاً وسنداً، ثم تليها الروايات الأخرى التي تشهد لها. وهذه الشواهد قد تكون صحيحة من وجوه أخرى كاختلاف الصحابي،أو يكون إسنادها حسنا،أو تكون ضعيفة فيذكرها للتنبيه عليها.ويبقى أن أشير إلى أن الإمام

الأخرى التي تشهد لها. وهذه الشواهد قد تكون صحيحة من وجوه أخرى كاختلاف الصحابي،أو يكون إسنادها حسنا،أو تكون ضعيفة فيذكرها للتنبيه عليها.

المصادر والمراجع

الداقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، **سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني**، تحقيق د.موفق ابن عبدالله بن عبدالقادر،مكتبة المعارف،الرياض،١٤٠٤هـ/٤٨٩١م.

المعلمي،عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني،بحوث – حديثية **علم الرجال وأهميته**،حققها وعلق عليها على بن حسن بن علي بن عبد الحميد،دار الراية للنشر والتوزيع،الرياض،١٤١٧هـ.

ابن أبي حاتم ،أبو محمد عبد الرحمن،**مقدمة– الجرح والتعديل**،تحقيق المعلم اليماني،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٣٧١هـ،٢٥٩١م .

– ابن تيمية،تقي الدين أحمد بن تيمية،**مجموعة الفتاوى**،دار الوفاء للطباعة والنشر،ط٣،مصر،المنصورة،٢٠٠٥م.

– ابن حبان،محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي،**كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**،تحقيق محمود إبراهيم زايد،دار المعرفة،بيروت،لبنان،١٤١٢هـ/٢٩٩١م.

– ابن حجر،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**،دار المعرفة،بيروت،١٣٧٩هـ.

– ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،تحقيق إحسان عباس،دار

قبول الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحيطة والتثبت في أخذ الرواية وأدائها،ولعل هذا الحرص حدا بهم إلى وضع قيود أشد صرامة في قبول الرواية.

7– إن ثمة أسبابا قوية دفعت المسلمين الى العناية بالإسناد في عصر التابعين، منها ظهور الفتن التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخول فئام كثيرة من الناس في الإسلام،المحب والكاره،وسرعان ما ظهرت نوايا الكارهين السوداء،فراحوا يزرعون الفتن،ويبثون سمومهم كذبا وتلفيقا،وتشتيتا وتفريقا في شمال الجزيرة العربية.

8– لقد رسم البخاري معالم منهجه منذ الوهلة الأولى لعزمه وضع مصنفه حين قال:»كتبت ألف ثقة من العلماء و زيادة و ليس عندي حديث لا أذكر إسناده»مؤكدا بذلك اهتمامه البالغ بالدراية التامة بحال الرواة،وكيف تلقوا الحديث؛حتى تطمئن نفسه في الأخذ عنهم.والاتصال فيما بينهم،وألا تكون أحاديثهم شاذة أو معلولة.

9– حرص البخاري على العناية بترتيب،وتبويب الأحاديث،حيث رتبها طبقا للموضوعات والأبواب؛مما يعني مقدرته،وسعة علمه،ومتانة حفظه،وعظيم فهمه للكتاب والسنة، والمقدرة على الاستنباط.

10– رتب الإمام مسلم الروايات في كل باب بحسب صحتها. فبدأ بأصح العبارات لفظاً وسنداً، ثم تليها الروايات

- مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد النيسابوري،**الصحيح**، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت.
- مسلم،**صحيح مسلم**، دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت.
–ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**،تحقيق علي شيري،دار إحاء التراث العربي،الرياض،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
–ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،**لسان العرب**،دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى.
–البخاري،محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري،**الجامع الصحيح المختصر**، دار ابن ابن كثير،بيروت،اليمامة١٤٠٧هـ،١٩٨٧م،ط٣ ،تحقيق مصطفى ديب البغا.
–قارن:دغمش، أمين عمر: **دراسات حديثية تطبيقية في نقد المتن**،بحث غير منشور، جامعة البلقاء التطبيقية،كلية الدعوة وأصول الدين، بدون تاريخ.
صادر،بيروت،ط١، ١٩٩٤م،٥/٤٩١.
- الأعظمي،محمد ضياء الرحمن:**معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد**،أضواء السلف،الرياض١٩٩٩.
– البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي،**الكفاية في علم الرواية**،تحقيق أبو عبدالله السورقي , إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية – المدينة المنورة ١/٥٣.
– الجوابي،محمد طاهر،**جهود المحدِّثِينَ في نقد متن الحديث النبوي**،نشر وتوزيع ع.الكريم بن عبد الله،تونس.
– الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي،**تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية — بيروت.
- الدايني،عزيز رسيد الدايني،**أسس الحكم على الرجال**،دققه وراجعه الدكتور بشار عواد معروف العبيدي. دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،٢٠٠٦،١٤٢٧هـ.
– الذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي،**سير أعلام النبلاء**،تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،46/42.
- الذهبي،شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز،**تذكرة الحفاظ**،دار إحياء التراث العربي،لبنان،الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م
– الذهبي،شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز،**تذكرة الحفاظ**،دار إحياء التراث العربي،لبنان،الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،**فتح المغيث شرح ألفية الحديث**،دار الكتب العلمية،– لبنان،الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.